

تأثير اللغة العربية والتعاليم الإسلامية على عادات وتقاليد

ولغة الهوسا

المقدمة

خديجة صغير سليمان

رغبة الباحثة في دراسة اللغة العربية كي تشارك في ركب دراسي اللغة، والتثبت على أن هناك علاقة وطيدة ملموسة بين اللغة العربية والدين الإسلامي مع لغة الهوسا وعاداتها. كون هذا الموضوع قطب الجدى للباحثين والدارسين للغة العربية؛ فإن الدراسة أو البحث بكل تواضع أن تظهر العلاقة بين اللغة والدين. إن اللسان العربي هو شعار الإسلام، واللغة العربية من الدين لا تنفصل عنه ولا ينفصل عنها بل هي الدين بعينه. فقد نزل بها كتاب ربنا، وأصبح تعلمها وإتقانها ومعرفة قواعدها وأسرارها فرضاً واجباً، لأن فهم الكتاب والسنة ومعرفة أحكام الدين من الأمور المتعينة على المسلم. وهذا لا يتم إلا بفهم اللغة العربية لغة القرآن والدين والتراث.. وبهذا يتضح أن العلاقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي علاقة متينة جداً. فهذه الورقة عبارة عن محاولة متواضعة لتبسيط أوضاع خاطفة على تأثير اللغة العربية والتعاليم الإسلامية على عادات وتقاليد ولغة الهوسا. والبحث مشتمل على ثلاثة مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى البيان حول علاقة اللغة العربية بالدين الإسلامي. والمبحث الثاني تناول نبذة عن الهوسا شعباً لغةً وحضارةً. بينما ركز المبحث الثالث والأخير على تأثير اللغة العربية والدين الإسلامي على شعب الهوسا.

المبحث الأول:

العلاقة بين الدين واللغة العربية

قبل أن نخوض في صميم الموضوع يجدر بنا أن نسلط الأضواء على مفهوم الدين الإسلامي بصفة عامة، ثم نعرف اللغة العربية ونذكر خصائصها ونحاول في نهاية المبحث ذكر العلاقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي.

مفهوم الإسلام:

الإسلام دين التوحيد الذي أنزل الله على رسوله محمد ابن عبد الله القرشي الهاشمي وكلفه بأن يبلغه البشر كافة، وقد انتشر في الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي. ثم انتشر عبر العصور في جميع أقطار المعمورة. والإسلام الرسالة السماوية الأخيرة للبشرية، وقد جاء بعد

والسياسي والاقتصادي والحربي والاجتماعي والتربوي. ويشكل الإسلام في عالم اليوم إحدى أكبر الديانات، وأكثرها انتشاراً. فالمسلمون اليوم حوالي البليون وربع البليون نسمة، مفرقون بين أجناس وقوميات وثقافات عدة، ممتدة من جنوبي الفلبين في آسيا إلى نيجيريا في غرب إفريقيا، رابطهم الوحيد عقيدتهم الإسلامية. وهناك حوالي ١٨٪ من المسلمين يعيشون في العالم الغربي. كما أن إندونيسيا تضم أكبر مجموعة إسلامية، في حين أن المسلمين يشكلون الغالبية من سكان منطقة الشرق الأوسط، وكذلك منطقة شبه القارة الهندية، وجنوب شرقي آسيا، وأماكن شاسعة من إفريقيا. وهناك أقليات إسلامية لا يستهان بها في ما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي وفي الصين.

اليهودية والنصرانية مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل مبيناً لكثير مما يدل أهل الكتاب وحرّفوا مما أنزل عليهم، ومتضمناً كل أسباب السعادة في الدنيا والآخرة. وهو خاتم الأديان السماوية جميعاً وجوهرها وروحها. وقد جاء الإسلام لمعالجة كل ما يتعلق بالمجتمع من أمور دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية، فهو دين ونظام حياة، وهو تشريع سماوي عام، كما أنه دين التيسير والتخفيف ورفع الحرج عن العباد. والإسلام أيضاً هو أن يسلم المرء كله لله، وأن يذعن له ويسكن إليه ويتوكل عليه، وأن يأتمر بأوامره، وينتهي عما نهى عنه. والإسلام نظام تكامل ينظم أمور الفرد كلها، الديني منها والدنيوي، وتعالج شريعته (قانونه) كل مناحي الحياة في المجتمع، الديني منها

وكذلك في الأمريكتين، وأوروبا غربيها وشرقيها ووسطها.

فالدين في نظر الإسلام على ثلاثة مراحل: إسلام، وإيمان، وإحسان، ولكل مرحلة متطلباتها من الاعتقادات والعبادات.

فالإسلام والإيمان لفظان قد يوضع كل منهما مكان الآخر. والإسلام هو التسليم لمشيئة الله والانقياد لأوامره والانتهاه عما نهى عنه. أما الإيمان فهو ما وفر في القلب وصدقه العمل. وقد يشير الإسلام إلى الأعمال الظاهرة، في حين يشير الإيمان إلى الاعتقاد. والإيمان: أن يؤمن المسلم بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

الإيمان بالله، لكونه خالق الخلق من العدم، وخالق السموات والأرض وما فيهن، وجاعل الإنسان خليفة في الأرض، حيث سخر له كل الكائنات الأخرى، وأعطاه من فضله، ومن كل ما سأل، ولم يطلب منه غير عبادته، وطاعته وعدم الإشراك به، فهو غفور رحيم لكل ذنب دن الشرك، وهو العالم بما في صدور عباده، وهو على علوه وبعده عن الخلق، أقرب إلى عباده من حبل الوريد، وهو المحصي لكل أعمالهم، صغيرها وكبيرها، وعليها يحاسبهم يوم البعث، أوضح لهم طريق الحق والباطل، وأعطاهم عقولا ليفكروا بها وليهتدوا بها إلى سبيل الرشاد. وهو الغني عن عباده المرید لخلقهم بعظمته، الذي ليس كمثل شيء. الإيمان بالملائكة لأنهم جزء من عالم الغيب، لا تراهم العين، ولا

تدركهم الحواس. خلقهم الله جلّ وعلا من نور لطاعته وعبادته، فهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. وهم رسل الله إلى خلقه، وهم حفظة على عباده، يستغفرون. والملائكة هم أعلى مخلوقات الله.

الإيمان بالكتب لأن المسلم مطالب بالإيمان بالكتب ورسالاتها، كالتوراة (العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد) وغيرها. ومعنى الإيمان بالكتب هو التصديق اليقيني بأنها من عند الله كالقرآن. ذلك أن كل تلك الرسائل تؤكد حقيقة واحدة، هي عبادة الله الأحد الفرد الصمد.

الإيمان بالرسول: لأن الإيمان بهم -صلوات الله عليهم- يتبع الإيمان بالكتب المنزلة التي أنزلت عليهم، فلا بد من الإيمان بالله، وكتبه ورسله، كل الرسل لا يفرق بين أحد منهم، منذ آدم وحتى عيسى (عليهم السلام جميعاً)، فكلهم مرسلون من عند الله. الإيمان باليوم الآخر يقرر الإسلام أن هدفه إعداد الناس للحياة الآخرة، فالدنيا ليست بدار فرار، وإنما هي معبر للآخرة؛ دار البقاء والخلود، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وأن الخلق سيحاسبون على أعمالهم يوم القيامة، وستوزن أعمالهم، فإن كان عملهم خيراً فخير، جنة ونعيم، وإن كان شراً فشر، نار وعذاب مهين.

الإيمان بالقدر يقرر الإسلام أن كل ما يجري في الكون ويقع فيه، يجري وفقاً لقضاء الله وقدره ويقع تبعاً لمشيئته وعمله الأزلي، مع تأكيد قدرة الإنسان ومشيئته المرتبطة بالتكليف والمسئولية

عما يقوم به من أعمال اختيارية.

فالإسلام له أركان خمسة وهي:

(١) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

(٢) وإقام الصلاة.

(٣) وإيتاء الزكاة.

(٤) وصوم رمضان.

(٥) والحج إلى بيت الله الحرام لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

فبالشهادتين يصبح الشخص مسلماً إذا نطق بهما، ويصبح بذلك مقراً بأهم ما جاء به الإسلام، وهو وحدانية الله، ووحداية ألوهيته وربوبيته، وأن العبادة له، والأمر كله له، ولاشريد له ثم بأن محمداً رسوله الذي أرسله بتلك الرسالة الحقّة لهداية الخلق كلهم إلى دين الله التّوحيدي.

والصلاة وجبت له الصلاة على المسلمين لعبادة الله: ففي أدائها خضوع للخالق وإحساس بالعبودية له. والمسلم يؤدي الصلاة خمس مرات يومياً، عند الفجر، وعند الظهر، ثم عند العصر، فالغرب فالعشاء بعد أن يطهر نفسه بالوضوء، ويعدها روحاً وذهناً للقرب من الله. ويؤدي المسلم الصلاة، متجهاً نحو مكة المكرمة، حيث الكعبة المشرفة، قبلة المسلمين كافة، مردداً بعض آيات من القرآن، وبعض الصيغ الدينية، مثل التكبيرات والتسبيحات والأدعية... الخ، ويمكن تادية الصلاة بصورة منفردة أو في مكان يجد المرء نفسه فيه، على أن تكون الأرض طاهرة- أي بعيدة عن كل نجاسة- على أن صلاة الجماعة هي المستحبة.

وتتكون الصلاة من قيام وقراءة

(عليه السلام) وإبطالاً لكل ممارسات الجاهلية الأولى. ووقت الحج من اليوم الثامن من شهر ذي الحجة إلى الحادي عشر أو الثاني عشر منه، ويؤم مكة المكرمة في هذا القوت حوالي مليونين من الحجيج المسلمين، ولهذا فالحج مناسبة عظيمة لاجتماع المسمين المفرقين في أنحاء العالم في مكان واحد، ليتعارفوا، ويتدارسوا أحوالهم.

وللحج أركان وشعائر خاصة، مثل النية والإحرام، والطواف والسعي، والوقوف بالمشاعر (منى وعرفات ومزدلفة). وهناك مواقيت مكانية يحرم منها الحجاج. وإذا أحرم المسلم بالحج من الميقات كان عليه أن يتجرد من المخيط والمحيط. ويكتفي بلبس شقين من قماش أبيض، واحد لأسفل الجسم والآخر لأعلاه، دون تغطية الرأس، ويتبع إحرام الحاج امتناع عن أمور عدة، منها التطيب ومباشرة النساء، وقتل الصيد، وللإخلال بأي واحدة من هذه التواجبات كفارة معينة. أما الطواف، فهو الطواف بالكعبة سبعة أشواط، وهناك طواف القدوم الذي يؤديه الحاج عند دخوله مكة، ثم طواف الإفاضة، بعد الانتهاء من الوقوف بعرفات، ثم طواف الوداع. وعلى الحاج السعي بين الصفا والمروة، وهما الجبلان اللذان كانت هاجر زوج سيدنا إبراهيم (عليه السلام) تسعى بينهما طلباً للماء، لها ولايتها الرضيع إسماعيل عندما نذ ماؤهما.

التعريف باللغة العربية

الغة العربية إحدى أكثر لغات

وأما الصوم فهو أن يمسك الإنسان عن الطعام والشراب والجامع من الصباح حتى المساء. وقد عرفت أمم الأنبياء السابقين الصوم، ووجد في شرائعهم، فالصيام موجود بصورة أو بأخرى في معظم الأديان، والصيام عبادة الله في الخفاء، وهو بين العبد وربيه، ومن ثم، فهو دليل قوة الإيمان، ومران على طاعة الله، وترويض للنفس على ترك شهواتها، والاتجاه إلى الله، فالجوع أو العطش ليسا عبادة وإنما وسيلة لأصل العبادة. وهو عدم فعل ما يخالف قانون الله وشريعته، بسبب الخوف من الله، وطلباً لمرضاته بطاعته، والحرص على عمل الخير، واعتراضاً وشكراً على نعمه التي أنعمها على عباده، فالأكل والشرب وغيره من نعم الله. وليس الصيام بالإمساك عن الأكل والشرب فقط، وإنما هو الإمساك عن كل ما يغضب الله، ولذلك قيل بأن الجوارح كلها تصوم، فاللسان يصوم عن الكذب والغيبة، وقول السوء، والعين كذلك، والأذن، وسائر الأعضاء.

والحج فرض على كل مسلم قادر ومسلمة قادرة مرة في العمر، والقدرة المقصودة هنا هي القدرة الجسدية والمادية.. والحج في اللغة معناه: القدوم والقصد، والمقصود: القصد إلى بيت الله الحرام (الكعبة) لأداء مناسك هذه الفريضة وشعائرها. وقد فرض الحج حتى يرتبط الناس في عبوديتهم لله - مهما بعدت بلادهم - بالكعبة، المركز الذي انطلقت منه الدعوة الإسلامية، وجاء الحج بشعائره الحالية إحياءً لسنة سيدنا إبراهيم

للقرآن وركوع وسجود، وجلس للتشهد مع قراءة القرآن. وبعض الصيغ الأخرى. وتكون صلاة الجماعة في المسجد - وقد تقام في أي مكان آخر - وفيها يقف المصلون في صفوف مترابطة جنباً إلى جنب، ويقف الإمام الذي يؤم الصلاة (أي يقودها) في مقدمة المصلين، مستقبلاً القبلة. ولكل وقت من أوقات الصلاة أذان، هو صيغة النداء للصلاة، ينادي به مؤذن من على منبذة المسجد، أو من مكبرات الصوت كما يفعل المؤذنون في يومنا هذا. أما فيما يتعلق بأداء الزكاة فقد ذكر القرآن عدة مرات مستحقي الزكاة الثمانية، وهم الفقراء والمساكين، والمؤلفة قلوبهم (وهم الذين يقتضي الضرورة منحهم بعض الأموال من أجل الدفاع عن الإسلام، وينضم إليهم من أسلموا حديثاً ممن يقتضي الأمر إدخال الطمأنينة إلى نفوسهم) وفي الرقاب (وهم الرقيق الذين يريدون أن يشتروا حريتهم من سيدهم). يستحق الزكاة أيضاً، الغارمون (وهم أصحاب الديون) كما يستحقها أيضاً المجاهدون في سبيل الله، كذلك السامفرون الذين انقطعوا عن أموالهم وقد أشار إليهم القرآن بآب السبيل. ويجمع الزكاة إمام المسلمين - أي رئيس الدولة - ويوزعها على مستحقيها، يقول الله تعالى: ((إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) التوبة: ٦٠. □

فضلا عن ألف المدِّ.. وكان ترتيب تلك الحروف قديماً أبجدياً على النحو الآتي: أبجد هوزَ حطي كمن سغنص قرشت تخذ ضطغ. وتكتب لغات كثيرة في العالم بالحروف العربية، مع استبعاد أحرف وإضافة أخرى، منها الفارسية، والأردية، والبشتو، ولغة الملايو، والهوسا، والفلايية، والكانوري، وكانت التركيبة والسواحيلية والصومالية تكتب إلى عهد قريب بالحروف العربية.

حقيقة التلازم بين الإسلام واللغة العربية:

والآن نتحدث عن حقيقة الارتباط الوثيق بين اللغة العربية والإسلام وأسراره وآثاره. إن الواقع التاريخي للغة العربية وللدين الإسلامي - خلال أربعة عشر قرناً - يثبت حقيقة التلازم والارتباط بين انتشار كل منهما وازدهاره بمساعدة الآخر. هذا إلى جانب حقيقة أخرى واضحة وثابتة هي: إن في كل من الدين الإسلامي واللغة العربية من القوة الذاتية واستعداد الأصيل ما يكفل له الغلبة والانتصار.

فاللغة العربية - ذاتها - لغة حية أدت رسالتها في الحياة خير أداء وعبرت في عصورها الأولى عن حادات المجتمعات التي اتخذها لغة لها تعبر بها عن مطالبها وآلامها وعلومها وآدابها وفنوها، وما زالت مستعدة للتعبير عن الحياة وما جد فيها، ومستعدة أن تتسع أكثر من ذي قبل لكل جديد مبتكر ومخترع حديث، كما يقول الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في كتابه (الفصحى والعامية).

لها فيأى لغة سامية فضلاً عن لغات العالم، وهي مجموعة أصوات الإطباق: الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف، ومجموعة الأصوات الخلفية، وتشتمل الصوتين الجذريين الحلقيين: الحاء والعين، والصوت القصي الطبيعي: الغين، والصوت القصي اللهوي: القاف، والصوت الحنجري: الهزمة. أما من ناحية المفردات فيعدُّ مُعجم العربية أغنى معاجم اللغات في المفردات ومرادفاتها (الثروة اللفظية)، إذ تضم المعاجم العربية الكبيرة أكثر من مليون مفردة، وحصراً تلك المفردات لا يكون بخصر مواد المعجم، ذلك لأن العربية لغة اشتقاق، والمادة اللفغوية في المعجم العربي التقليدي هي مجرد جذر، والجذر الواحد تتفرع منه مفردات عديدة، فالجذر ع ود مثلاً تتفرع منه المفردات: عادَ وأعادنَ وعوّد، وعاوّدَ واعتادَ، وتعوّد، واستعادَ، وعوّد، وعوّد، وعوّد، ومعاوّدَ، وإعادة، وتعوّد، واعتادَ، وتعوّد، واستعادَ، وعادِيّ. يضاف إليها قائمة أخرى بالأسماء المشتقة من بعض تلك المفردات. وكل مفردة تؤدي معنى مختلفاً عن غيرها.

والعربية تطوّر كسائر اللغات، فقد أمتت مفردات منها واندثرت، وأضيفت إليها الكثير من مصطلحات الحضارة الحديثة، ونجحت في إضافتها إلى المعجم المُستخدَم، مثل: سيارَة، وقطار، وطائرة، وبرقيّة، وغير ذلك.

ومن جانب التلفظ والتهجّي تتكون الألفباء العربية من ٢٨ حرفاً،

العالم إستعمالاً، وإحدى اللغات الخمس الرسمية في هيئة الأمم المتحدة ومنظّماتها، وهي اللغة الأولى لأكثر من ٢٩٠ مليون عربي، واللغة الرسمية في ١٨ دولة عربية، كما يُجيدها أو يُلمُّ بها نحو ٢٠٠ مليون مسلم من غير العرب إلى جانب لغاتهم أو لهجاتهم الأصلية. ويُقبل على تعلمها كثيرون آخرون من أنحاء العالم لأسباب تتعلق بالدين أو بالتجارة أو العمل أو الثقافة أو غير ذلك.

والعربية هي اللغة السّامية الوحيدة التي قدّرها أن تحافظ على كيانها وأن تصبح عالمية، وما كان ليتحقّق لها ذلك لولا نزول القرآن الكريم بها، إذ لا يمكن فهم ذلك الكتاب المبين الفهم الصحيح والدقيق وتدوّق إعجازه اللغوي إلا بقراءته بلغته العربية. كما أن التراث الغني من العلوم الإسمية مكتوب بتلك اللغة. ومن هنا كان تعلم العربية مَطْمَناً لكل المسلمين الذين يبلغ عددهم نحو مليار مسلم في شتى أُنحُر العالم. ويمكن القول إن أكثر من نصف سكان إفريقيا يتعاملون بالعربية.

خصائص اللغة العربية

من حيث الأصوات تتميز العربية بما يمكن تسميته مركز الجاذبية في نظام النطق، كما تتميز بأصوات الإطباق؛ فهي تستخدم الأعضاء الخلفية من جهاز النطق أكثر من غيرها من اللغات، فتوظّف جذر اللسان وأقصاه والحنجرة والحلق واللهاة توظيفاً أساسياً، ولذلك فهي تحتوى على مجموعة كاملة، لا وجود

بذلك على العرب خاصة والمسلمين عامة.

ويقول الأزهرى في مقدمته: إن تعلم العربية التي يتوصل بها إلى تعلم ما تجزئ به الصلاة من تنزيل وذكر فرض على عامة المسلمين. وإن على الخاصة التي تقوم بكفاية العامة فيما يحتاجون إليه لدينهم الإجهاد في تعلم لسان العرب ولغاتها التي بها التوصل إلى معرفة ما في الكتاب (القرآن) ثم في السنة والآثار وأقوال أهل التفسير من الصحابة والتابعين من الألفاظ العربية. فإن الجهل بذلك جهل بجملته علم الكتاب إلخ.

ثم يذكر الأزهرى أن من أسباب قيامه بتأليف كتابه: النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين كما جاء بها التوجيه النبوي: ((الدين النصيحة))، أي أن دينه حمله على أن يضع كتابه في اللغة العربية لإفادة الناس ما يحتاجون إليه، والدفاع عن لغة العرب التي جاء بها القرآن، وجاءت بها السنن والآثار..

ويقول الأستاذ العقاد رحمه الله: «ولقد قيل كثيرا إن اللغة العربية بقيت لأنها لغة القرآن. وهو صحيح لا ريب فيه، ولكن القرآن الكريم إنما أبقى اللغة لأن الإسلام دين الإنسانية قاطبة وليس بالدين المقصور على شعب أو قبيل. وقد ماتت العبرية وهي لغة دينية أو لغة كتاب يدين به قومه، ولم تمت العبرية إلا لأنها فقدت المرونة التي جعلها لغة إنسانية، وتخرجها من حظيرة العصبية الضيقة بحيث وضعها أبناؤها منذ قرون».

وهذا إلى تدبر تنزيهه، والتفكير في آياته والإيمان بمحكمه ومتشابهه، والبحث عن معانيه، والفحص عن اللغة العربية التي نزل بها الكتاب والاهتمام بما شرع فيها، ودعا الخلق إليه وأوضح الصراط المستقيم به، وهداهم إلى ما فضلنا به على كثير من أهل هذا العصر في معرفة لغة العرب التي نزل بها القرآن ووردت سنة المصطفى النبي المرتضى عليه السلام».

هذا النص من مقدمة «التهذيب» لأحد أئمة اللغة الإعلام كاف الأن تبيين الباعث الأساسي على الإهتمام باللغة العربية، وتدوينها وتصحيحها ونشرها ألا وهو «الإسلام» قرآنا وسنة وعبادة وتشريعا.

والقرآن نفسه، قبل كلام الأزهرى وأمثاله من علماء اللغة، يؤكد حقيقة هذا الباعث الأساسي للاهتمام باللغة العربية الاعتزاز بترائثها العلمي والأدبي. فقد من الله تبارك وتعالى على رسوله - صلى الله عليه وسلم - وعلى العرب الذين بعث فيهم ومنهم بقوله عز وجل: (إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) يوسف: ٢٠٢.

فتزول القرآن الكريم بالعربية - كما يتضح من آيات القرآن نفسه - دليل أهميتها وأفضليتها وبعث نهضتها، وصاحب الفضل الأكبر والأثر الأظهر في نشرها وخلودها. وهي - أيضا - لأنها أغنى اللغات بيانا وأقواها برهاننا كانت ولا تزال عاملا مساعدا لنشر الإسلام، والإقبال عليه. ويكفي تدليلا على ذلك اختيار الله لها لسانا لدينه العام والأخير، وهو الإسلام ومنه

واللغة العربية أيضا - من أغنى لغات البشر ثورة لفظية تستوعب حاجات الأمة الحسية والمعنوية - كما يقول الأستاذ مصطفى السقا «والعرب منذ أواخر العصر الجاهلي مهتمون بلغتهم معترفون بترائثها الأدبي»، وقد قيل: «الشعر ديوان العرب» ولكن اهتمامهم واعتزازهم بها ازداد مع ظهور الإسلام لأن الله عز وجل اختارها لغة لدينه قرآنا وسنة وعبادة وتشريعا. وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد، ثم تضاعف الإهتمام والاعتزاز باللغة العربية وحفظ التراث اللغوي وتنقيته من الدخيل الأعجمي أثناء الفتوحات الإسلامية وبعدها. وعلى الرغم من أن الاستعمار الغربي كان يعمل لهدم اللغة العربية بحسبانها لسان الدين الإسلامي الذي ما يزال يحاول هدمه بالدعوة إلى استخدام اللهجات العامة لغة للتأليف والكتابة كما فعل للورد «دفرين» السياسي البريطاني حين طالب بتدوين العلوم باللغة العامية المصرية. وكما حاول المستعمرون الفرنسيون في الجزائر، إلا أن هذه الدعوات والمحاولات الاستعمارية قد باءت بالخيبة والفشل والخسران المبين. ونتقل الآن إلى الحديث عن أثر الإسلام في انتشار اللغة العربية، وسنروي أقوال بعض أئمة اللغة والأدب مختصرة عن حقيقة التلازم القوي بين انتشار الإسلام بالعربية وانتشار العربية بالإسلام.

ونبدأ بالأزهرى الإمام اللغوي المشهور، فهو يقول: «الحمد لله، على ما أسبغ علينا من نعمه الظاهرة والباطنة،

ولغتها حين حفظ لها إسلامها من غارة الصليبيين، لقد كان الإسلام في ضمير صلاح الدين هو الذي كافح الصليبيين، كما كان الإسلام في ضمير المظفر قنزل والظاهر بيبرس والملك الناصر هو الذي كافح التتار المتبربرين».

المبحث الثاني:

نبذة عن الهوسا شعباً و لغة وحضارة:

الهوسا أقدم سكان غرب إفريقيا.. ويُشكلون تجمعاً ثقافياً وسياسياً مهماً في شمالي نيجيريا وجنوبي النيجر. ومعظم الهوسا يدينون بالإسلام. ومن المحتمل أن أول مستوطنات للهوسا تم بناؤها خلال القرن الحادي عشر أو الثاني عشر الميلاديين. وبحلول القرن الرابع عشر الميلادي، تمت إقامة العديد من مدن الهوسا، بما فيها مدن كانو وكاتسينا، وسكوتو، وزاريا، ثم أصبحت هذه المدن مراكز تجارية مهمة.

سيطرت إمبراطورية الصنغي على ولايات الهوسا. معظم أعوام القرن السادس عشر الميلادي. ثم نالت هذه الولايات استقلالها مرة ثلانية. وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين شاركت هذه الولايات المستقلة في تجارة الذهب والفضة على نطاق واسع. وفي أوائل القرن التاسع عشر، قاد الشعب الفولاني المسلم ثورة ضد زعماء الولايات التقليديين. ثم قام متمردو الهوسا والفولاني المسلمون بغزو العديد من الولايات، وأنشأوا

الرسول العربي الكريم ليدعو قومه إلى سبيل الرشاد فكان بلغتهم وعلى أساليب كلامهم».

وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم الصحابة من بعده المرجع في تفسير القرآن، ثم جاءت الحركة العلمية الأولى عند المسلمين التي شملت في مدة وجيزة جميع العلوم التي عرفها العالم القديم، فما اتصل بالقرآن كان أولها ظهوراً حيث ظهرت كتب (غريب الحديث) وكان آخر الظواهر التي أمدت الدراسات اللغوية بالروافد ظاهرة التدوين العلمي حيث وضعت معظم العلوم العربية في أواخر العصر الأموي وأوائل العهد العباسي: كعلوم القرآن والحديث والفقه والنحو والرياضة والمنطق والكلام والفلسفة إلخ...

ويقول الأستاذ سيد قطب: «إن انتصار الصليبيين في الأندلس وانتصار اليهود في فلسطين.. أعظم شاهد على أنه حين يطرد الإسلام من أرض، فإنه لا تبقى لغته ولا قوميته بعد اقتلاع الجذر الأصيل».

ويقول أيضاً: «إن المماليك - وهم من جنس التتار - حموا من التتار بلاد العرب، مع أنهم ليسوا من جنس العرب، فصمدوا في وجه بني جنسهم المهاجمين دفاعاً عن الإسلام، لنهم كانوا مسلمين.. صمدوا بإيحاء من العقيدة الإسلامية، وبقيادة روحية إسلامية من الإمام المسلم (ابن تيمية) الذي قاد التعبئة الروحية اندثار العروبة والعرب واللغة العربية وهو كردي لا عربي.. وهو إنما حفظ لها عروبيتها

ثم يضيف الأستاذ العقاد: «إن هذه الفضيلة الإنسانية التي لا تفرق بين العربي والأعجمي ولا بين القرشي والحبشي، لهي التي أنضت لخدمة اللغة أناساً من الأعاجم غاروا عليها من حيف الأعجمية - أي أنهم غاروا عليها من لغة أمهاتهم وأبائهم، لأنها لغتهم على المساواة بينهم وبين جميع المؤمنين بالقرآن الكريم كتاب الإسلام».

ويقول العقاد أيضاً: «وستبقى اللغة العربية ما دام لها أنصار يريدون لها البقاء. ولم ينقطع أنصارها في عصرنا الحاضر بل نراهم بحمد الله يزدادون ويتعاونون. ويتلاقى أبناء البلاد المختلفة على خدمتها ودعمها، لأنهم مختلفون بمواقع البلاد متفقون بمقاصد الضمائر والألسنة والأفكار».

إن العقاد يعني بما قدم: أن إنسانية الإسلام والمية تشريعه الحكيم هي التي ساعدت على انتشار اللغة العربية التي هي لغة كتابه «القرآن» الذي وحد في المؤمنين به «مقاصد» الضمائر والألسنة والأفكار، على الرغم من اختلافهم في مواقع البلاد..

ويقول الدكتور حسين نصار: «لم تنهر اللغة العربية بانهيار الدولة الأموية وذلك بفضل القرآن الذي أحاط اللغة العربية بهالة من القداسة والجلال غمرت كل مسلم مهما كان جنسه مهما كانت لغته، فاستمرت حية تتوارثها ألسنة جيل بعد جيل. وأن السبب المباشر الذي أظهر الدراسات اللغوية هو ارتباطها بالدراسات الدينية، واتحادها في النشأة... فقد أنزل القرآن كتاب العربية الأعظم على

الولايات، كما يذكر التاريخ أن الإسلام كان منتشرًا في القرن الحادي عشر الميلادي من مملكة غانه غربًا إلى مملكة كانم شرقًا، يؤيد هذه القول إن هذه الحدود المذكورة تضم أكثر ولايات الهوسا التي كانت مجموعة في ذلك الزمن، لكن لم ينتشر الإسلام بشكل واسع إلا في القرن الرابع عشر الميلادي حين هاجر عدد من القبائل الفلانية من مملكة مالي إلى بلاد هوسا شرقًا. ومن الحضارة الفكرية لجماعة هوسا قبول الإسلام بلا ريب، حيث جعلوا شعائر مختلطة مع عاداتهم وتقاليدهم، مثل العفة، والهيئة، والزواج، والأعياد ونحو ذلك. وجهاد الشيخ عثمان بن فودي أثر كثيرًا في الحضارة الفكرية لجماعة هوسا حيث جدد الإسلام في هذه المنطقة كون أصله من بلاد هوسا والطرق الصوفية أيضا أثرت بدرجة كبيرة في بلاد هوسا كأنك تقول أصلها فيها، ويؤيد هذا القول نظرًا إلى أمثلة واقعية واضحة، فوجود الطريقة التجانية والقادرية ولا تزال بلاد هوسا إلى يومنا هذا هي عاصمة هذه الطرق كون ساداتها وشيوخها في بلاد هوسا. وكانت زيارات العلماء الأجلاء في بلاد هوسا ظاهرة على نمو هذا البلاد نظرًا لما وقع منذ القرن التاسع الهجري في كته، أي زيارة الإمام السيوطي من خلال زيارته لبلاد التكرور حتى لقي الإمام المغيلي وترك أثرًا كبيرًا ما زال الباحثون والدارسون يؤلفون حول ذلك ومن الثقافة المادية بناء السور الذي يحيط بالبلاد كلها وبناء أبواب

في القرن الحادي عشر الميلادي، ومنذ ذلك التاريخ ازدهر بعضها وأصبح مركزًا تجاريًا. وهناك أساطير يذكرها المرخون حول تقسيم مجموعتين من الهوسا وهما ولايات السبع الأصلية (هوسا بكوي) وتشمل: كنو، وكته، وزكك، ودورًا، وعُوبِر، وعَارِنَ غَبَس. والمجموعة الثانية هي الولايات السبع الفرعية (بَنَزَ بَكُوِي) وهي: كيب، ونفي، ويربا، ويَاوُرِي، وكِرُوْفَا، وبرغو، وزننرا. ويعتبر التاريخ أن نشأة هذه الولايات يرجع إلى وقت واحد، لأن مؤسسيها وأمرائها الأوائل كانوا من أصل واحد وأن واحدهم (بَيَاَجِد) الذي قتل الحية التي تصيب الناس في البئر، ثم زواجه الأميرة (مَعَاَجِيَا دَوْرَامَا) جزاء عمله، وهديته الجارية (بغورية) وأنجبت له الجارية في البداية ابنا يمسى (منكري غري) هجاء الأميرة، ثم أُجبت له الأميرة ابنا وسماه ب (باوا)، وكان أبناء باوا السبعة ثم الذين أسسوا مجموعة الولايات السبع الأصلية (هوسا بكوي)، وأبناء (منكري غري) أسسوا الولايات السبع الفرعية (بنز بكوي). ولا تزال هذه الأسطورة تتبدل لعدم وجود الوثائق التاريخية القديمة التي يمكن الاعتماد عليها. على أين حال فإن شعوب هوسا لها حضارة وثقافة مختلفة مادية وفكرية؛ كونها مركزًا تجاريًا وملتقى القوافل التجارية، مثل سوق كرمي (كاسور كرمي) في كنو. وعن طريق التجار دخل الإسلام منذ وقت مبكر في بعض هذه

إمبراطورية الهوسا - الفلانية انظر: الفولانيون. بعد ذلك استعمر الإنجليز نيجيريا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ولكن المناطق الخاضعة لإمبراطورية الهوسا - فولاني ظلت مستقلة في معظم أنحاءها. ثم نالت نيجيريا استقلالها عام ١٩٦٠م، ومنذ ذلك الوقت وقبائل الهوسا تلعب دورًا رئيسيًا في السياسة النيجيرية. تطلق كلمة هوسا على الشعوب والقبائل الساكنة بين المنطقة الواقعة في الضفة الغربية لنهر نيجر غربًا، ومملكة برنو شرقًا، ومن حدود مملكة أهير شمالاً إلى حدود نهر بينوي جنوبًا. وتطلق كلمة هوسا أيضًا على اللغة التي تتكلم بها هذه القبائل والشعوب. ولغة هوسا كانت منتشرة على لسان شعوب غرب إفريقيا كلها كما ورد في كتاب (حركة اللغة العربية وأدبها في نيجيريا) للدكتور شيخو أحمد سعيد غلاندثي، كونها إحدى اللغات الإفريقية الرئيسية من اللغات الثلاثة التي يتكلم بها المسلمون في أفريقيا وهما اللغة العربية واللغة السواحلية. ولا يذكر التاريخ حقيقة بداية أصل هذه الشعوب والقبائل التي تتكلم بهذه اللغة، لكن المؤرخين يعتبرون أنها كانت مجموعات زراعية تسكن في أرض خصبة، وكل واحدة منها مستقلة عن الأخرى وتجمعها لغة الهوسا، وبعد مرور فترة طويلة من الزمن تطورت هذه الجماعة إلى عدة ولايات. كما لا يذكر التاريخ نشأة تلك الولايات إلا الشيء الذي كر المؤرخون عنها هو وجود عدد من تلك الولايات

أبناءهم شيئاً منها أو يلتقطها أبناءهم منهم.

كان لانتشار الدين أثر في انتشار اللغة العربية لأنها دخلت حيثما دخل الدين الإسلامي كما ذكرنا سابقاً. فالأمر الضريبي للمسلم الهوساوي أن يتعلم على الأقل ما يكفيه لأداء فرائضه الدينية العينية من الصلاة والصيام وغيرها. ولا بدّ منه أن يحفظ بعض السور القرآنية والأدعية المأثورة والمصطلحات الدينية والفقهية كالتوبة والإقامة والركوع والسجود والناظلة وغير ذلك.

ومن تأثير اللغة العربية على لغة الهوسا كثرة الكلمات العربية تدرجة أن العوام أو غير المتخصصين لا يفرقون ولا يميزون الكلمات المستعارة من العربية من غيرها.

الخاتمة وخلاصة البحث

كان نزول القرآن الكريم بالعربية الفصحى أهمّ حدث في مراحل تطورها؛ فقد وُجد لهجاتها المختلفة في لغة فصيحة واحدة قائمة في الأساس على لهجة قريش، وأضاف إلى معجمها ألفاظاً كثيرة، وأعطى لألفاظ أخرى دلالات جديدة. كما ارتقى ببلاغة التراكيب العربية. وكان سبباً في نشأة علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والأصوات وفقه اللغة البلاغة، فضلاً عن العلوم الشرعية، ثم إنه حَقَّق للعربية سعة الانتشار العالمية.

لقد حَمَلَت العربية الفصحى القرآن الكريم، واستطاعت من خلال انتشار الإسلام أن تبدأ زحفها جنوباً

بالدين الإسلامي وشعائر دينهم باللغة العربية، لأن معظم هذه الشعوب مسلمة، ولا تقاس على الأقلية الشاذة على من غير المسلمين، ويؤيد هذا القول قبولهم للإسلام منذ وقت مبكر - كما ورد.

وكما عرفنا هناك علاقة تجارية بين العرب والهوسا كشعوب منذ القرن العاشر الميلادي، إلا أن هذا الانتصار بالنسبة للملكة برنو كان أقدم حسب ما رواه أهل هذه المملكة من أجدادهم وأسلافهم. إذن فالصلة التجارية هي التي سببت انتشار اللغة العربية في بلاد الهوسا. ولقد قسم شيخو غلادنتها الاتصال إلى ناحيتين:

- الناحية الأولى: أدخلت كلمات غير عربية جديدة في اللغات المحلية وخاصة في لغة الهوسا التي كانت ولا تزال اللغة التجارية السائدة في غربي أفريقيا؛ أدخلت مثلاً أسماء بعض البضائع المستوردة من البلاد العربية والتي لم تكن معروفة عند أهل تلك الولايات قبل ذلك؛ مثل الحرير والزعفران والسرج وغيرها.
- وكذلك أدخلت العقود من الأعداء من عشرين إلى تسعين، وبعض الكلمات التي لا يستغني عنها التجار كالغش والأمانة ونحو ذلك، فهذه الكلمات وأمثالها كلها أدخلت في لغة هوسا في تلك الفترة.
- والناحية الثانية: هي أن بعض التجار في تلك الولايات الذين كانوا يتعاملون مع العرب في الأسواق تعلموا من تلك اللغة أكثر من غيرهم، ولعلمهم كانوا يلقتون

لها. فيوجد في كفو مثلاً ما يسمى بـ (فَادَلَهْ أو غَانُوا) إلى اليوم، مما يدل على عراقية حضارة شعوب هوسا.

وأما إذا نظرنا إلى اللغة «هوسا» نرى عجباً لفصاحتها وفصاحة الناطقين بها، مما تحتويه من الأمثل والحكم، فهي - مثل العربية - تستعمل الاستعارات والكنائيات والتشبيهات وغير ذلك من أوجه البلاغة والفصاحة.

ف لغة هوسا مثل غيرها من لغات العالم تأخذ وتعطي، أي إنها استعارت كلمات وتعابير من لغات مختلفة وخاصة اللغة العربية فحرفت هذه الكلمات والعبارات المستعارة بحيث تتناسب في نظامها الصوتي والفونولوجي والإملائي، فنطقت بها وكأنها هوسوية أصلية، كما سيتضح لما ذلك فيما يأتي. وإذا رجعنا إلى تاريخ

هوسا قبل إسلامهم نرى أنهم شعوب يخضعون لنظام دولة وخلافة، فقد كانوا مثلاً قبل القرن العاشر الميلادي يسكنون بجوار تل (دال) Dala، وكانوتا يعبدون صنما اسمه (ثُمْبَرِيرَا) و (بَرَبُوشِي) هو الرئيس والراهب الكبير في هذا الدين، وبعده الأمير بغود، وبعده وفاته خلفه أولاده، ثم توالى الملوك واحداً بعد واحد إلى يومنا هذا.

المبحث الثالث:

تأثير اللغة العربية والدين

الإسلامي على المجتمع

الهوسوي:

لقد أثرت اللغة العربية والدين الإسلامي على المجتمع تأثيراً كبيراً، حتى لا نتفصل معاملة الهوساوي

- لتحلَّ محلَّ العربية الجنوبية القديمة، ثم عبرت البحر الأحمر إلى شرقي إفريقيا، واتجهت شمالاً فقضت على الآرامية في فلسطين وسوريا والعراق، ثم زحفت غرباً فحلَّت محلَّ القبطية في مصر. وانتشرت في شمال إفريقيا فخلفت لهجات البربر، وانفتح لها الطريق إلى غرب إفريقيا والسودان، ومن شمال إفريقيا انتقلت إلى أسبانيا وجُزُر البحر المتوسط.
- كما كان للعربية أثرٌ عميق في لغات الشعوب الإسلامية؛ فتأثيرها واضح في الفارسية والأردية والتركية والبشتو ولغة الملايو واللغات واللهجات الإفريقية ومنها لغة الهوسا (محمل البحث). ومن غير الممكن الآن معرفة لغة أيِّ بلد إسلامي وأدبه ومناحي تفكيره معرفة جيدة دون الإحاطة الجيدة بالعربية.
- هذا ما تيسر لنا إيرادُه في هذا الصدد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على حبيبنا وقره أعيننا محمد صلى الله عليه وسلم.
- المصادر والمراجع:**
- القرآن الكريم.
- الأحاديث النبوية الشريفة.
- غلادنتي، شيخو أحمد سعيد (الدكتور): حركة اللغة العربية وأدائها في نيجيريا، الطبعة الثانية، سنة (١٩٩٣م/١٤١٤م).
- الغمبيري، محمد أمين الله: اللغة العربية وأهميتها في حياة الإنسان الثقافية، الطبعة الأولى، شركة الناشر المتنوعة المحدودة، كانو.
- محمد بللو بن الشيخ عثمان بن فودي (الإمام): إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور دار ومطابع الشعب، القاهرة، الطبعة الأولى (١٣٨٣هـ/١٩٧٤م).
- الإلوري، آدم عبد الله (الشيخ): الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، الطبعة الثانية، (١٣٩١هـ/١٩٧١م). د.م.
- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، معها ملحق بتراجم الأعلام والأمكنة، موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.
- المكتبة الشاملة الإلكترونية، الإصدار ٢،٤٥ (٢٠١١م).
- الموسوعة العربية الشاملة، إصدار (٢٠٠٢م).
- Kwakwaci. K. H. Asalin Hausawa. Wajen Bugu: harsashi Ltd (٢٠١٠).